**ماراثون الطاعات**

يطوي الصائمون غداً عشرين يوماً من الشهر الفضيل ويستقبلون العشر الأواخر، يترقبون شهود ليلة القدر، يتحرونها في العشر الأواخر ، ويجاهدون أنفسهم وقد ذاقوا طعم الانتصار على الذات، وخبروا التواصل مع طاقاتهم الروحانية العليا، امتنعوا عن الأكل والشراب وعن ممارسة المباحات، ودأبوا على قيام الليل وقراءة القرآن، وكفوا ألسنتهم وأيديهم وجميع جوارحهم عن الخوض فيما لا يعنيهم من شؤون الناس وخصوصياتهم، وذاقوا طعم الهدوء والسكينة، وشعروا بقدرتهم على إحداث التغيير الإيجابي في نظام حياتهم، صاروا أكثر خشوعا في العبادة، وتعودوا على قراءة القرآن وواظبوا على صلاة الجماعة في الفروض والنوافل. يشعر الصائمون أنهم يستطيعون التخلص من جميع الممارسات السلبية الآثمة، ويقدرون على استبدالها بالتفكير الإيجابي والممارسات الحميدة. إنها أكاديمية الصوم، كما يصفها أحد الصائمين، ممن التقيت بهم لمعرفة تأثير شهر رمضان في مسار حياتهم، يقول أحدهم استطعت أن أتحرر من عادة التدخين التي لازمتني ثلاثين عاماً، تركت التدخين تماماً خلال العشر الأوائل من شهر الصيام والقرآن، كان للصيام الفضل الرئيسي في تحفيز قوة إرادتي على الإقلاع عن التدخين، كما كان للصلاة في المسجد وقراءة القرآن والأذكار فضلا أشكر الله عليه، كما أن ملازمتي للإعتكاف في المسجد مكنني من استشعار المتعة والبهجة الروحية. لساني مشغول بالقرآن والدعاء والاستغفار والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي صرت قادراً على ضبط تفكيري والتحكم في سلوكي.

تقول إحدى الصائمات صرت أشعر بأنني أقرب إلى الله سبحانه وتعالى من ذي قبل، ساعدني صيام رمضان على حفظ الجوارح، وكل يوم صيام أعتبره هدية أستثمرها في تهذيب الذات، فأيام رمضان كلها هبات من الله سبحانه وتعالى لكي نبدأ حياة جديدة. جميع الذين غادروا الدنيا لم يعد بوسعهم أن يحدثوا التغيير الإيجابي في الحياة. صارت عيني تصوم عن المحرمات، وأذني تصوم عن الكلام الفاحش، وتعلمت اليوم من حديث استمعت إليه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الصحابة أن أقواماً من المسلمين في زمن ضعف الدين يكون أجر العامل منهم مثل أجر خمسين من الصحابة، وبرر صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون على الخير أعوانا) أي أن حظ من يصومون رمضان هذه الأيام أوفر ممن عاشوا بمعية الرسول صلى الله عليه وسلم، فالذين يشهدون هذا الوقت ويصومون رمضان ويطيعون الله في هذا الوقت يتمتعون بالثواب والأجر المضاعف مقارنة بالزمن الذي عاش فيه الصحابة. أدركت الفرق بين صوم الجوارح وصوم الروح الذي يعلمني الصبر ويقوي عندي التأمل الروحي، أدركت قيمة الوقت في طاعة الله، وتعلمت أن أستشعر النعمة التي أتقلب فيها وصرت أشارك المحرومين من هذه النعم الإحساس بشعورهم، تعلمت أن أنتهز فرصة الحياة وأبدأ بالطاعات قبل فوات الأوان، فأنا اليوم أعيش ولا أضمن أن أعيش غداً، بل لا أضمن أن أعيش هذه اللحظات التي أنا فيهاالآن، فشهر الصيام هو شهر السماء وهو شهر ليلة القدر التي يفوق فضلها ألف شهر. ويتحدث صائم آخر عن تجربة الصيام هذا العام، يصمت قليلاً معبراً عن حزنه على رحيل شهر القرآن، وذكر بأن رمضان هذا العام، أعاده إلى سنة الاعتكاف في المسجد حتى الشروق، وجدد العلاقة بينه وبين القرآن، أستطاع أن يمارس التأمل الروحي وهو في حالة الصيام، حيث يسهل عليه التركيز والإرتباط بالروح، واستشعار معية الله سبحانه وتعالى. قبل أن أكتب هذا المقال بساعتين كنت في أحد المساجد لتأدية صلاة العشاء ثم صلاة القيام، وعشت إحساس الصائمين وشعورهم الممتع وهم يستغرقون في صلاة واحدة يرددون آمين خلف الإمام ثم يؤدون معه الركوع والسجود في تلاحم عضوي نفسي وروحي.

د. أحمد بن علي المعشني

رئيس أكاديمية النجاح للتنمية البشرية